شرح الصدر قلمي

٤١٤

مقامات الحريري

مالک سید کفایت الله

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الاستاذ اللغوي النحوي ابو العباس احمد بن عبد المومن

بن موسى بن عيسى بن عبد المومن القيسي الشريشي رحمة الله عليه ورضوانه

شرح الصدر

اللهم انا نحمدك على ما علمت من البيان والهمت من التبيان

كما نحمدك على ما اسبغت من العطاء واسبلت من الغطاء ونعوذ

بك من شرة اللسن وفضول الهذر كما نعوذ بك من معرة اللكن و

فضول الحصر ونستكفي بك الافتتان باطراء المادح واغضاء

المسامح كما نستكفي بك الانتصاب لازراء القادح وهتك الفاضح
ونستغفرك من سوق الشهوات الى سوق الشبهات كما نستغفرك من
نقل الخطوات الى خطط الخطيات ونستوهب منك توفيقا قائدا
الى الرشد وقلبا متقلبا مع الحق ولسانا متحليا بالصدق ونطقا
مؤيدا بالحجة واصابة زائدة عن الزيغ وعزيمة قاهرة هوى
النفس وبصيرة ندرك بها عرفان القدر وان تسعدنا بالهداية الى
الدراية وتعضدنا بالاعانة على الابانة وتعصمنا من الغواية في
الرواية وتصرفنا عن السفاهة في الفكاهة حتى نامن حصائد
الالسنة ونكفى غوائل الزخرفة فلا نرد مورد ماثمة ولا نقف موقف
مندمة ولا نرهق بتبعة ولا معتبة ولا نلجا الى معذرة عن بادرة
اللهم فحقق لنا هذه المنية وانلنا هذه البغية ولا تضحنا عن

طلبك السابغ ولا تجعلنا مضغة للماضغ فقد مددنا اليك يد
المسئلة وبخعنا بالاستكانة لك والمسكنة واستنزلنا كرمك الجم
ومنك الذي عم بضراعة الطلب وبضاعة الامل ثم بالتوسل بمحمد سيد
البشر والشفيع المشفع في المحشر الذي ختمت به النبيين واعليت
درجته في عليين ووصفته في كتابك المبين فقلت وانت تعالى
اصدق القائلين وما ارسلناك الا رحمة للعالمين اللهم فصل
عليه وعلى اله الهادين واصحابه الذين شادوا الدين واجعلنا
لهديه وهديهم متبعين وانفعنا بمحبته ومحبتهم اجمعين انك على
كل شي قدير وبالاجابة جدير وبعد فانه جرى ببعض اندية الادب
الذي ركدت في هذا العصر ريحه وخبت مصابيحه ذكر المقامات
التي ابتدعها بديع الزمان وعلامة همذان رحمه الله وعزا الى ابي

ابي

الفتح الاسكندري نشأتها والى عيسى بن هشام روايتها وكلاهما مجهول
لا يعرف ونكرة لا تتعرف فاشار من اشارته حكم وطاعته غنم
الى ان انشئ مقامات اتلو فيها تلو البديع وان لم يدرك الظالع شاو
الضليع فذاكرته بما قيل فيمن الف بين كلمتين ونظم بيتا او بيتين
واستقلت من هذا المقام الذي فيه يحار الفهم ويفرط الوهم ويسبر غور
العقل وتبين قيمة المرء ويضطر صاحبه الى ان يكون كحاطب ليل او
جالب رجل وخيل وقلما سلم مكثار او اقيل له عثار فلما لم يسعف
بالاقالة ولا اعفي من المقالة لبيت دعوته تلبية المطيع وبذلت
في مطاوعته جهد المستطيع وانشأت على ما اعانيه من قريحة
جامدة وفطنة خامدة وروية ناضبة وهموم ناصبة خمسين
مقامة تحتوي على جد القول وهزله ورقيق اللفظ وجزله وغرر

البيان ودرره وملح الادب ونوادره الى ما وشحتها به من الايات
ومحاسن الكنايات ورصعته فيها من الامثال العربية واللطائف
الادبية والاحاجي النحوية والفتاوي اللغوية والرسائل المبتكرة
والخطب المحبرة والمواعظ المبكية والاضاحيك الملهية مما امليت
جميعه على لسان ابي زيد السروجي واسندت روايته الى الحرث بن همام
البصري وما قصدت بالاحماض فيه الا تنشيط قاريه وتكثير
سواد طالبيه ولم اودعه من الاشعار الاجنبية الا بيتين فذين
اسست عليهما بنية المقامة الحلوانية واخرين توامين ضمنتهما
خواتم المقامة الكرجية وما عدا ذلك فخاطري ابو عذره ومقتضب
حلوه ومره هذا مع اعترافي بان البديع رحمه الله سباق غايات
وصاحب ايات وان المتصدي بعده لانشاء مقامة ولو اوتي

بلاغة

بلاغة قدامة لا يغترف الا من فضالته ولا يسرى ذلك المسرى الا
به لالته ولله القائل

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلى فهيج لى البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدم

وارجو ان لا اكون فى هذا الهذر الذى اوردته والمورد الذى توردته
كالباحث عن حتفه بظلفه والجادع مارن انفه بكفه فالحق
بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا على انى وان اغضى الفطن المتغابى ونضح عنى
المحب المحابى لا اكاد اخلص من غمر جاهل او ذى غمر متجاهل يضع منى
لهذا الوضع ويندد بانه من مناهى الشرع ومن نقد الاشياء بعين
المعقول وامعن النظر فى مبانى الاصول نظم هذه المقامات فى سلك
الافادات وسلكها مسلك الموضوعات عن العجماوات والجمادات

وانعم خ

ولم يسمع بمن نبا سمعه عن تلك الحكايات او اثّم رواتها في وقت من
الاوقات ثم اذا كانت الاعمال بالنيات وبها انعقاد العقود الدينيات
فاي حرج على من انشا ملحا للتنبيه لا للتمويه ونحا بها منحى
التهذيب لا الاكاذيب وهل هو في ذلك الا بمنزلة من انتدب لتعليم
او هدى الى صراط مستقيم على انني راض بان احمل الهوى واخلص منه لا
على ولا ليا وبالله اعتضد في ما اعتمد واعتصم مما يصم واسترشد
الى ما يرشد فما المفزع الا اليه ولا الاستعانة الا به ولا التوفيق
الا منه ولا الموئل الا هو عليه توكلت واليه انيب

## المقامة الاولى الصنعانية

حدث الحرث بن همام قال لما اقتعدت غارب الاغتراب وانأتني
المتربة عن الاتراب طوحت بي طوائح الزمن الى صنعاء اليمن .

فدخلتها

قد خلّتها خاوي الوفاض بادي الإنفاض لا أملك بُلغةً ولا أجد في جرابي
مضغةً فطفقت أجوب طرقاتها مثل الهائم وأجول في حوماتها جول
الحائم وأرود في مسارح لمحاتي ومسايح غدواتي وروحاتي كريمًا أُخلِق له
ديباجتي وأبوح إليه بحاجتي أو أديبًا تفرّج رؤيته غمّتي وتروي روايته
غلّتي حتى أدّتني خاتمة المطاف وهدتني فاتحة الألطاف إلى نادٍ رحيب الطاف
محتوٍ على زحامٍ ونحيبٍ فولجت غابة الجمع لأسبر مجلبة الدمع فرأيت في
بهرة الحلقة شخصًا شخت الخلقة عليه أُهبة السياحة وله رنّة
النياحة وهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ويقرع الأسماع بزواجر جواهر
وعظه وقد أحاطت به أخلاط الزمر إحاطة الهالة بالقمر و
الأكمام بالثمر فدلفت إليه لأقتبس من فوائده وألتقط بعض فرائده
فسمعته يقول حين خبّ في مجاله وهدرت شقاشق ارتجاله

الى الجانح في جهالاته الجامح في خيلائه السادل ثوب غلوائه السادر في
خزعبلاته الى م تستمر على غيك وتستمري مرعى بغيك وحتام تتناهى
في زهوك ولا تنتهي عن لهوك تبارز بمعصيتك مالك ناصيتك وتجترئ
بقبح سيرتك على عالم سريرتك وتتوارى عن قريبك وانت بمرأى رقيبك
وتستخفي من مملوكك وما تخفى خافية على مليكك اتظن ان ستنفعك
حالك اذا آن ارتحالك او ينقذك مالك حين توبقك اعمالك او يغني
عنك ندمك اذا زلت قدمك او يعطف عليك معشرك يوم يضمك محشرك هلا
انتهجت محجة اهتدائك وعجلت معالجة دائك وفللت شباة اعتدائك
وقدعت نفسك فهي اكبر اعدائك اما الحمام ميعادك فما اعدادك وبالمشيب
انذارك فما اعذارك وفي اللحد مقيلك فما قيلك والى الله مصيرك فمن
نصيرك طالما ايقظك الدهر فتناعست وجذبك الوعظ فتقاعست وتجلت

لك

لك العبر فتعاميت وحصحص لك الحق فتماريت وأذكرك الموت فتناسيت

وأمكنك أن تؤاسي فما آسيت تؤثر فلسا توعيه على ذكر تعيه وتختار

قصرا تعليه على بر توليه وترغب عن هاد تستهديه إلى زاد تستهديه

وتغلب حب ثوب تشتهيه على ثواب تشتريه يواقيت الصلات أعلق بقلبك من

مواقيت الصلاة ومغالاة الصدقات آثر عندك من موالاة الصدقات

وصحاف الألوان أشهى إليك من صحائف الأديان ودعابة الأقران

آنس لك من تلاوة القرآن تأمر بالعرف وتنتهك حماه وتحمي عن النكر ولا

تتحاماه وتزحزح عن الظلم ثم تغشاه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه

ثم أنشد تبا لطالب دنيا ثنى إليها انصبابه ما يستفيق غراما

بها وفرط صبابه ولو درى لكفاه مما يروم صبابه ثم إنه لبد عجاجته

وغيض مجاجته واعتضد شكوته وتأبط هراوته فلما رنت الجماعة

الى تحفزه ورأت تأهبه لمزايلة مركزه ادخل كل منهم يده في جيبه
فافعم له سجلا من سيبه وقال اصرف هذا في نفقتك او فرقه على
رفقتك فقبله منهم مغضيا وانثنى عنهم مثنيا وجعل يودع من
يشيعه ليخفى عليهم مهيعه ويسرب من يتبعه لكي يجهل مربعه
قال الحرث بن همام فاتبعته مواريا عنه عياني وقفوت اثره من
حيث لا يراني حتى انتهى الى مغارة فانساب فيها على غرارة فامهلته ريث
ما خلع نعليه وغسل رجليه ثم هجمت عليه فوجدته محاذيا للتلميذ
على خبز سميذ وجدي حنيذ وقبالتهما خابية نبيذ فقلت له يا
هذا ايكون ذاك خبرك وهذا مخبرك فزفر زفرة القيظ وكاد يتميز من
الغيظ ولم يزل يحملق الي حتى خفت ان يسطو علي فلما ان خبت ناره
وتوارى اواره انشد لبست الخميصة ابغي الخبيصة وانشبت شصي في كل شيصة

وصيرت

وصيّرت وعظي احبولة اريغ القنيص به والقنيصة والجاني الدهر

حتى ولجت بلطف احتيالي على الليث عيصة على انني لم اهب صرفه

ولا نبضت لي منه فريصة ولا شرعت بي على مورد يدنس عرضي نفس حريصة

ولو انصف الدهر في حكمه لما ملّك الحكم اهل النقيصة ثم قال لي ادن

فكل وان شئت فقم وقل فالتفت الى تلميذه وقلت له عزمت

عليك بمن تستدفع به الاذى لتخبرني من ذا فقال هذا ابو زيد

السروجي سراج الغربا وتاج الادبا فانصرفت من حيث اتيت وقضيت

العجب مما رايت

## المقامة الثانية الحلوانية

حكى الحرث بن همام قال كلفت مذ ميطت عني التمايم ونيطت بي

العمايم بان اغشى مغان الادب وانضي اليه ركاب الطلب لاعلق منه

بما يكون لي زينة بين الانام ومزنة عند الاوام وكنت لفرط اللهج باقتباسه

والطمع في تقمص لباسه اباحث كل من جل وقل واستسقي الوبل والطل

المطر الشديد

واتعلل بعسى ولعل فلما حللت حلوان وقد بلوت الاخوان وسبرت

اسم مدينة معروفة بالعراق

الاوزان وخبرت ما شان وزان الفيت بها ابا زيد السروجي يتقلب

في قوالب الانتساب ويخبط في اساليب الاكتساب فيدعي تارة انه من آل ساسان

ويعتزي مرة الى اقيال غسان ويبرز طورا في شعار الشعراء ويلبس حينا كبر الكبراء

بيد انه مع تلون حاله وتبين محاله يتحلى برواء ورواية ومداراة ودراية

وبلاغة رائعة وبديهة مطاوعة وآداب بارعة وقدم لاعلام العلوم فارعة

فكان لمحاسن آلاته يلبس على علاته ولسعة روايته يصبى الى رؤيته ولخلابة

عارضته يرغب عن معارضته ولعذوبة ايراده يسعف بمراده فتعلقت

باهدابه لخصائص آدابه ونافست في مصافاته لنفائس صفاته

فكنت به اجلو همومي واجتلي زما في طلق الوجه ملتمع الضيا ارى قربه

قربى ومغناه غنية ورؤيته ريا ومحياه الحيا ولبثنا على ذلك برهة ينشئ

في كل يوم نزهة ويدرأ من قلبي شبهة الى ان جدحت له يد الاملاق
كاس الفراق واغراه عدم العراق بتطليق العراق ولفظته معاوز الارفاق
الى مفاوز الآفاق ونظمه في سلك الرفاق خفوق راية الاخفاق فشحذ
للرحلة غرار عزمته وظعن يقتاد القلب بازمته فما راقني من
لاقني بعده ولا شاقني من ساقني لوصاله ولا لاح لي مذ نأى نده لفضله
ولا ذو خلال حاز مثل خلاله واستسر عني حينا لا اعرف له عرينا
ولا اجد عنه مبينا فلما ابت من غربتي الى منبت شعبتي حضرت
دار كتبها التي هي منتدى المتادبين وملتقى القاطنين منهم والمتغربين
فدخل ذو لحية كثة وهيئة رثة فسلم على الجلاس وجلس في اخريات الناس
ثم اخذ يبدي ما في وطابه ويعجب الحاضرين بفصل خطابه فقال لمن
يليه ما الكتاب الذي تنظر فيه فقال ديوان ابي عبادة المشهود له بالاجادة
فقال هل عثرت له فيما لمحته على بديع استملحته فقال نعم قوله كانما تبسم

عن لولوء منضد او برد او اقاح فانه ابدع بالتشبيه المودع فيه

فقال له يا للعجب ولضيعة الادب لقد استسمنت يا هذا ذا ورم ونفخت

في غير ضرم اين انت عن البيت الندر الجامع مشبهات الثغر و

انشد نفسي الفداء لثغر راق مبسمه وزانه شنب ناهيك من شنب

يفتر عن لولوء رطب وعن برد وعن اقاح وعن طلع وعن حبب

فاستجاده من حضر واستحلاه واستعاده منه واستملاه وسيل لمن هذا

البيت وهل حي قائله ام ميت فقال ايم الله للحق احق ان يتبع و

للصدق حقيق بان يستمع انه يا قوم لنجيكم منذ اليوم قال فكان الجماعة

ارتابت بعزوته وابت تصديق دعوته فتوجس ما هجس في افكارهم و

فطن لما بطن من استنكارهم وحاذر ان يفرط اليه ذم فقرا ان بعض

الظن اثم ثم قال يا رواة القريض واساة القول المريض ان خلاصة الجوهر

تظهر بالسبك ويد الحق تصدع رداء الشك وقد قيل في ما غبر من الزمان

عن

عند الامتحان يكرم الرجل او يهان وها انا قد عرضت خبيئتي للاختبار وعرضت
حقيبتي على الاعتبار فابتدر احد من حضر وقال اعرف بيتا لم ينسج على منواله ولا سمحت
قريحة بمثاله فان آثرت اختلاب القلوب فانظم على هذا الاسلوب وانشد فامطرت
لؤلؤا من نرجس وسقت وردا وعضت على العناب بالبرد فلم يكن الا كلمح البصر
او هو اقرب حتى انشد فاغرب سالتها حين زارت نضو برقعها القاني وايداع سمعي
اطيب الخبر فزحزحت شفقا غشى سنا قمر وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر
فحار الحاضرون لبداهته واعترفوا بنزاهته فلما انس استئناسهم بكلامه وانصبابهم
الى شعب اكرامه اطرق كطرفة العين ثم قال ودونكم بيتين آخرين وانشد واقبلت يوم جد
البين في حلل سود تعض بنان النادم الحصر فلاح ليل على صبح اقلهما غصن وضرست البلور بالدرر
فحينئذ استسنى القوم قيمته واستغزروا ديمته واجملوا عشرته وجملوا قشرته قال الراوي
فلما رايت تلهب جذوته وتالق جلوته امعنت النظر في توسمه وسرحت الطرف في
ميسمه فاذا هو شيخنا السروجي وقد اقمر ليله الدجوجي فهنات نفسي بوروده وابتدرت استلام يده
وقلت له ما الذي احال صفتك حتى جهلت معرفتك واي شيء شيب لحيتك حتى انكرت حليتك فانشأ
يقول وقع الشوائب شيب والدهر بالناس قلب ان دان يوما لشخص ففي غد يتغلب
فلا تثق بوميض من برقه فهو خلب واصبر اذا هو اضرى بك الخطوب وألب فما على التبر عار
في النار حين يقلب ثم انه نهض مفارقا موضعه وستتبعا القلوب معه

# المقامة الثالثة الدينارية

اخبر الحرث بن همام قال نظمني واخدانا لي نادٍ لم يخب فيه منادٍ ولا كبا قدح زناد

ولا ذكت نار عناد فبينا نحن نتجاذب اطراف الاناشيد ونتوارد طرف الاسانيد اذ وقف

بنا شخص عليه سمل وفي مشيته قزل وقال يا اخاير الذخاير وبشاير العشاير عموا صباحا

وانعموا اصطباحا وانظروا الى من كان ذا نديٍ وندى وجدة وجدى وعقار وقرى

ومقار وقرى فما زال به قطوب الخطوب وحروب الكروب وشرر شر

الحسود وانتياب النوب السود حتى صفرت الراحة وقرعت الساحة

وغار المنبع ونبا المربع واقوى المجمع واقض المضجع واستحالت الحال واعول

العيال وخلت المرابط ورحم الغابط واودى الناطق والصامت ورثى لنا الحاسد

والشامت وآل بنا الدهر الموقع والفقر المدقع الى ان احتذينا الوجى واغتذينا الشجا

واستبطنا الجوى وطوينا الاحشا على الطوى واكتحلنا السهاد واستوطنا الوهاد.

واستوطانا القتاد وتناسينا الاقتاد

واستطبنا

واستبطنا الحين المجتاح واستنبطنا اليوم المتاح فهل من حرٍّ آسٍ او

سمحٍ مواسٍ فوالذي استخرجني من قيلة لقد امسيت اخا عيلة لا املك بيت ليلة

قال الحرث بن همام فاويت لمفاقره ولويت الى استنباط فقره فابرزت له

دينارًا وقلت له اختبارًا ان مدحته نظمًا فهو لك حتمًا فانبرى ينشد في الحال

من غير انتحال

اكرم به اصفر راقت صفرته جوّاب آفاقٍ ترامت سفرته مأثورة

سمعته وشهرته قد اودعت سرّ الغنى اسرّته وقارنت نجح المساعي خطرته

وحبّبت الى الانام غرّته كانما من القلوب نقرته به يصول من حوته صرّته

وان تفانت او توانت عترته يا حبذا نضاره ونضرته وحبذا مغناته ونصرته

كم آمرٍ به استتبّت إمرته ومترفٍ لولاه دامت حسرته وجيش همٍّ هزمته

كرّته وبدر تمٍّ انزلته بدرته ومستشيطٍ تتلظى جمرته اسرّ نجواه فلانت شرّته

وكم اسيرٍ اسلمته اسرته انقذه حتى صفت مسرّته وحقّ مولًى ابدعته فطرته

لولا التقى لقلت جلّت قدرته

ثم بسط يده بعد ما انشده وقال انجز حر ما وعد وسح خال اذ رعد
فنبذت الدينار اليه وقلت خذه غير ماسوف عليه فوضعه في فيه
وقال بارك الله فيه ثم شمر للانثناء بعد توفية الثناء فنشأت لي من فكاهته
نشوة غرام سهلت علي ايتناف اغترام فجردت دينارا آخر وقلت له
هل لك في ان تذمه ثم تضمه فانشد مرتجلا وشدا عجلا
تبا له من خادع مماذق اصفر ذي وجهين كالمنافق يبدو بوصفين لعين
الرامق زينة معشوق ولون عاشق وحبه عند ذوي الحقايق يدعو
الى ارتكاب سخط الخالق لولاه لم تقطع يمين سارق ولا بدت مظلمة من
فاسق ولا اشماز باخل من طارق ولا شكا الممطول مطل العايق ولا استعيذ
من حسود راشق وشر ما فيه من الخلايق
ان ليس يغني عنك في المضايق الا اذا فر فرار الابق واها لمن يقذفه من حالق

ومن اذا ناجاه نجوى الوامق قال له قول المحق الصادق لا رأى في وصلك

لى ففارق قال الراوى فقلت ما اغزر وبلك فقال والشرط املك فنفحته

بالدينار الثانى وقلت له عوذهما بالمثانى فالقاه فى فمه وقرنه بتوأمه

وانكفأ يحمد مغداه ويمدح النادى ونداه قال الحرث بن همام فناجانى

قلبى بانه ابو زيد وان تعارجه لكيد فاستعدته وقلت له قد عرفت

بوشيك فاستقم فى مشيك فقال ان كنت ابن همام فحييت باكرام و

حييت بين كرام فقلت انا الحرث فكيف حالك والحوادث فقال اتقلب

فى الحالين بؤس ورخاء وانقلب مع الريحين زعزع ورخاء فقلت له كيف

ادعيت القزل وما مثلك من هزل فاستسر بشره الذى كان تجلى ثم

انشد حين ولى تعارجت لا رغبة فى العرج ولكن لاقرع باب الفرج والقى حبلى

على غاربى واسلك مسلك من قد مرج فان لامنى القوم قلت اعذروا فليس على اعرج من

حرج

# المقامة الرابعة الدمياطية

اخبر الحرث بن همام قال ظعنت الى دمياط عام هياط ومياط وانا يومئذ
مرموق الرخاء موموق الاخاء اسحب مطارف الثراء واجتلي معارف السراء
فرافقت صحبا قد شقوا عصا الشقاق وارتضعوا افاويق الوفاق حتى لاحوا
كاسنان المشط في الاستواء وكالنفس الواحدة في التئام الاهواء وكنا مع ذلك
نسير النجاء ولا نرحل الا كل هوجاء واذا نزلنا منزلا او وردنا منهلا اختلسنا
اللبث ولم نطل المكث فعن لنا اعمال الركاب في ليلة فتية الشباب غدافية
الاهاب فاسرينا الى ان نضا الليل شبابه وسلت الصبح خضابه فحين مللنا
السرى وملنا الى الكرى صادفنا ارضا مخضلة الربا معتلة الصبا فتخيرناها
مناخا للعيس ومحطا للتعريس فلما حلها الخليط وهدا بها الاطيط والغطيط
سمعت صيتا من الرجال يقول لسميره في الرحال كيف حكم سيرتك مع جيلك وجيرتك

فقال

فقال الزم عهد الجار ولو جار وابذل الوصال لمن صال واحتمل الخليط ولو ابدى

التخليط واود الحميم ولو جرعني الحميم وافضل الشفيق على الشقيق وافي للعشير

وان لم يكافي بالعشير واستقل الجزيل للنزيل واغمر الزميل بالجميل وانزل سميري منزلة

اميري واحل انيسي محل رئيسي واودع معارفي عوارفي واولي مرافقي مرافقي والين

مقالي للقالي واديم تسآلي عن السالي وارضى من الوفاء باللفاء واقنع من الجزاء باقل

الاجزاء ولا اتظلم حين اظلم ولا انقم ولو لدغني الارقم فقال له صاحبه ويك يا بني

انما يضن بالضنين وينافس في الثمين لكن انا لا الي غير المواتي ولا اسم العاني بمراعاتي

ولا اصافي من يابى انصافي ولا اواخي من يلغي الاواخي ولا امالي من يخيب امالي ولا

ابالي بمن صرم حبالي ولا اداري من جهل مقداري ولا اعطي زمامي من يخفر ذمامي

ولا ابذل ودادي للاضدادي ولا ادع ايعادي للمعادي ولا اغرس الايادي في ارض

الاعادي ولا اسمح بمواساتي لمن يفرح بمساتي ولا ارى التفاتي الى من يشمت بوفاتي

ولا أهتم بحباء الأحباء ولا أستطب لداء غير أدوائي ولا أملك خلتي

من لا يسد خلتي ولا أصفي نيتي لمن يتمنى منيتي ولا أخلص دعائي لمن لا ينفع وعائي

ولا أفرغ ثنائي على من يفرغ إنائي ومن حكم بأن أبذل وتخزن وألين وتخشن

وأذوب وتجمد وأذكو وتخمد لا والله بل نتوازن في المقال وزن المثقال ونتحاذى

في الفعال حذو النعال حتى نأمن التغابن ونكفى التضاغن وإلا فلم أعلك وتعلني

وأقلك وتستقلني وأجترح لك وتجرحني وأسرح إليك وتسرحني وكيف يجتلب

إنصاف بضيم وأنى تشرق شمس مع غيم ومتى أصحب ود بعسف وأي حر رضي

بخطة خسف ولله أبوك إذ يقول جزيت من أعلق بي وده جزاء من يبني على أسه

وكلت للخل كما كال لي على وفاء الكيل أو بخسه ولم أخسره وشر الورى من

يومه أخسر من أمسه وكل من يطلب عندي جنى فما له إلا جنى غرسه لا أبتغي الغبن

ولا أنثني بصفقة المغبون في حسه ولست بالموجب حقا لمن لا يوجب الحق على نفسه

وربّ مذاق الهوى خالني أصدقه الود على لبسه وما درى من جهله أنني
أقضي غريمي الدين من جنسه فاهجر من استغباك هجر القلى وهبه كالملحود في رمسه
والبس لمن في وصله لبسة لباس من يرغب عن أنسه ولا ترج الود ممن يرى
أنك محتاج إلى فلسه قال الحارث بن همام فلما وعيت ما دار بينهما تقت
إلى أن أعرف عينهما فلما لاح ابن ذكاء والحف الجو الضياء غدوت قبل استقلال
معا
الركاب ولا اغتراء الغراب وجعلت أستقري صوب الصوت الليلي وأتوسم
الوجوه بالنظر الجلي إلى أن لمحت أبا زيد وابنه يتحادثان وعليهما بردان رثان
فعلمت أنهما نجيا البلي وصاحبا روايتي فقصدتهما قصد كلف بدماثتهما راث
لرثاثتهما وأجتهما التحول إلى رحلي والتحكم في كثري وقلي وطفقت أسير بين
السيارة فضلهما وأهز الأعواد المثمرة لهما حتى غمرا بالنحلات واتخذا من الخلان
وكنا بمعرس نتبين منه بنيات القرى ونتنور نيران القرى فلما رأى أبو زيد امتلاء

كيما أو انجلاء بؤسه قال لي إن بدني قد اتسخ ودرني قد رسخ أفتأذن في قصد قرية

لأستحم وأقضي هذا المهم فقلت إذا شئت فالسرعة السرعة والرجعة الرجعة

فقال ستجد مطلعي عليك أسرع من ارتداد طرفك إليك ثم استن استنان الجواد في

المضمار وقال للابنه بدار بدار ولم نخل أنه غر وطلب المفر فلبثنا نرقبه رقبة أهلة

الأعياد ونستطلعه بالطلائع والرواد إلى أن هرم النهار وكاد جرف اليوم ينهار

فلما طال أمد الانتظار ولاحت الشمس في الأطمار قلت لأصحابي قد تناهينا في المهلة

وتمادينا في الرحلة إلى أن أضعنا الزمان وبان أن الرجل مان فتأهبوا للظعن ولا

تلووا على خضراء الدمن ونهضت لأحدج راحلتي وأتحمل لرحلتي فوجدت أبا زيد قد

كتب على القتب يا من غدا لي ساعدا ومساعدا دون البشر لا تحسبني أني نأيتك عن ملال

أو أشر لكنني مذ لم أزل ممن إذا طعم انتشر قال فأقرأت الجماعة القتب ليعذره من كان

يعتب فأعجبوا بخرافته وتعوذوا من آفته ثم إنا ظعنا ولم ندر من اعتاض عنا ✤ بابه

المقامة ٥

# المقامة الخامسة الكوفية

حكى الحرث بن همام قال سمرت بالكوفة في ليلة اديمها ذو لونين وقمرها كتعويذ من
لجين مع رفقة غذوا بلبان البيان وسحبوا على سحبان ذيل النسيان ما فيهم الا
من يحفظ عنه ولا يتحفظ منه ويميل الرفيق اليه ولا يميل عنه فاستهوانا السمر
الى ان غرب القمر وغلب السهر فلما روق الليل البهيم ولم يبق الا التهويم سمعنا من البا ب
نباة مستنبح ثم تلتها صكة مستفتح فقلنا من الملم في الليل المدلهم فقال
يا اهل ذا المغنى وقيتم شرا ولا لقيتم ما بقيتم ضرا قد دفع الليل الذي اكفهرا الى ذراكم
شعثا مغبرا اخا سفار طال واسبطرا حتى انثنى محقوقفا مصفرا مثل هلال الافق حين افترا
وقد عرا فناءكم معترا وامكم دون الانام طرا يبغي قرى منكم ومستقرا فدونكم ضيفا
قنوعا حرا يرضى بما احلولى وما امرا وينثني عنكم ينث البرا قال الحرث بن همام
فلما خلبنا بعذوبة نطقه وعلمنا ما وراء برقه ابتدرنا فتح الباب وتلقيناه بالتر حاب

وقال يا غلام هيّا هيّا وهلمّ ما تهيّا فقال الضيف والذي احلّني ذراكم لا تلمّظت

بقراكم او تضمنوا لي الّا تتّخذوني كلًّا ولا تجشّموا لاجلي اكلا فربّ اكلة هاضت

الآكل وحرمته مآكل وشرّ الاضياف من سام التكليف واذى المضيف وخصوصًا

اذًى يعتلق بالاجسام ويفضي الى الاسقام وما قيل في المثل الذي سار سائره خير العشاء

سوافره الّا ليعجّل التعشّي ويجتنب اكل الليل الذي يعشي اللهمّ الّا ان تقد نار الجوع

وتحول دون الهجوع قال فكأنّه اطّلع على ارادتنا فرمى عن قوس عقيدتنا لا جرم

انّا آنسناه بالتزام الشرط واثنينا على خلقه السبط ولمّا احضر الغلام ما راج

واذكى بيننا السراج تأمّلته فاذا هو ابو زيد فقلت لصحبي ليهنكم الضيف الوارد

معا
بل المغنم البارد فان يكن افل قمر الشعرى فقد طلع قمر الشعر او استسرّ بدر النثرة

فقد تبلّج بدر النثر فسرت حميّا المسرّة فيهم وطارت السنة عن مآقيهم ورفضوا

الدعة التي كانوا نووها وثابوا الى نشر الفكاهة بعد ما طووها وابو زيد مكبّ على

[illegible] حتى إذا استرفع ما لديه قلنا له أطرفنا بغريبة من غرائب أسمارك أو
عجيبة من عجائب أسفارك فقال لقد بلوت من العجائب ما لم يره الراؤون
ولا رواه الراوون وإن من أعجبها ما عاينته الليلة قبيل انتيابكم ومصيري إلى
بابكم فاستخبرناه عن طرفة مرآه في مسرح مسراه فقال إن مرامي الغربة لفظتني
إلى هذه التربة وأنا ذو مجاعة وبؤسى وجراب كفؤاد أم موسى فنهضت حين
سجا الدجى على ما بي من الوجى لأرتاد مضيفاً أو أقتاد رغيفاً فساقني حادي السغب
والقضاء المكنى أبا العجب إلى أن وقفت على باب دار فقلت حييتم يا أهيل هذا المنزل
وعشتم في خفض عيش خضل ما عندكم لابن سبيل مرمل نضو سرى خابط ليل أليل
جوي الحشا على الطوى مشتمل ما ذاق مذ يومان طعم مأكل ولا له في أرضكم من موئل
وقد دجا جنح الظلام المسبل وهو من الحيرة في تململ فهل بهذا الربع عذب المنهل
يقول لي ألق عصاك وادخل وابشر ببشر وقرى معجل قال فبرز إلي جوذر عليه شوذر

وقال وحرمة الشيخ الذي سن القرى واسس المحجوج في ام القرى ما عندنا لطارق

اذا عرا سوى الحديث والمناخ في الذرى وكيف يقري من نفى عنه الكرى طوى برى

اعظمه لما انبرى فما ترى فيما ذكرت ما ترى فقلت ما اصنع بمنزل قفر ومنزل حليف فقر

ولكن يا فتى ما اسمك فقد فتنني فهمك فقال اسمي زيد ومنشاي فيد ووردت

الى هذه المدرة امس مع اخوالي من بني عبس فقلت له زدني ايضاحا عشت ونعشت

فقال اخبرتني امي برة وهي كاسمها برة انها نكحت عام الغارة بماوان رجلا من سراة

سروج وغسان فلما آنس منها الاثقال وكان باقعة على ما يقال ظعن عنها سرا

وهلم جرا فما يعرف احي هو فيتوقع ام اودع اللحد البلقع قال ابو زيد فعرفت

بصحة هذه العلامات انه ولدي وصدفني عن التعرف اليه صفر يدي

ففصلت عنه بكبد مرضوضة ودموع مفضوضة فهل سمعتم يا اولي الالباب

باعجب من هذا العجاب فقلنا لا ومن عنده علم الكتاب فقال اثبتوها في عجائب الاتفاق

احذروها

وخلدناها بطون الأوراق فما سير مثلها في الآفاق فأحضرنا الرواة وأساودها
ورقشنا الحكاية على ما سردها ثم استنبطناه عن مرتاه في استضمام فتاه
فقال إذا ثقل ردفي خف علي أن أكفل ابني فقلنا إن كان يكفيك نصاب
من المال لقناه لك في الحال فقال وكيف لا يقنعني نصاب وهل يحتقر قدره إلا
مصاب قال الراوي فالتزم منه كل منا قسطا وكتب له به قطا فشكر عند
ذلك الصنع واستنفد في الثناء الوسع حتى إنا استطلنا القول واستقللنا
الطول ثم إنه نشر من وشي السمر ما أزرى بالحبر إلى أن أظل التنوير وجشر
الصبح المنير فقضيناها ليلة غابت شوائبها إلى أن شابت ذوائبها وكمل
سعودها إلى أن انفطر عودها ولما ذر قرن الغزالة طمر طمور الغزالة وقال
انهض بنا لنقبض الصلات ونستنض الإحالات فقد استطارت صدوع كبدي
من الحنين إلى ولدي فوصلت جناحه حتى سنيت نجاحه فحين أجرى

العين في صرته برقت أسارير مسرته وقال لي جزيت خيرا عن خطا قدمك

والله خليفتي عليك فقلت له أريد أن أتبعك لأشاهد ولدك النجيب

وأنا فثه لكي يجيب فنظر الخادع إلى المخدوع وضحك حتى تغرغرت

مقلتاه بالدموع وأنشد يا من تظنى السراب ماء لما رويت الذي رويت

ما خلت أن يستسر مكري وأن يخيل الذي عنيت والله ما برة بعرسي

ولا لي ابن به اكتنيت وإنما لي فنون سحر ابدعت فيها وما اقتديت

لم يحكها الأصمعي فيما حكى ولا حاكها الكميت تخذتها وصلة إلى ما

تجنيه كفي متى اشتهيت ولو تعافيتها لحالت حالي ولم أحو ما حويت

فمهد العذر أو فسامح إن كنت أجرمت أو جنيت ثم إنه ودعني ومضى

وأودع قلبي جمر الغضا

## المقامة السادسة وتعرف بالمراغية

حكى الحارث بن همام قال حضرت ديوان النظر بالمراغة وقد جرى به ذكر البلاغة

فأجمع

فأجمع من حضر من فرسان اليراعة وأرباب البراعة على أنه لم يبق من
ينقح الإنشاء ويتصرف فيه كيف شاء ولا خلف بعد السلف من يبتدع
طريقة غراء أو يفترع رسالة عذراء وأن المفلق من كتاب هذا الأوان
كالعيال على الأوائل ولو ملك فصاحة سحبان وائل وكان بالمجلس كهل
جالس في الحاشية وعند مواقف الحاشية فكان كلما شط القوم في شوطهم
ونثروا العجوة والنجوة من نوطهم ينبي تخازر طرفه وتشامخ أنفه أنه مخرنبق
لينباع ومجرنثم سيمد الباع ونابض يبري النبال ورابض يبغي النضال فلما
نثلت الكنائن وفاءت السكائن وركدت الزعازع وكف المنازع وسكنت
الزماجر وصمت المزجور والزاجر أقبل على الجماعة وقال يا قوم لقد جئتم
شيئا إدا وجرتم عن القصد جدا وعظمتم العظام الرفات وأفتم في الميل إلى
من فات وغمصتم جيلكم الذين فيهم لكم اللدات ومعهم انعقدت لكم المودات

(margin:) المتمكن من أزمة البيان

أنسيتم يا جهابذة النقد ومواىذة الحل والعقد ما أبرزته طوارف القرائح

وبرز فيه الجذع على القارح من العبارات المهذبة والاستعارات المستعذبة

والرسائل الموشحة والأساجيع المستملحة وهل للقدماء إذا أنعم النظر

من حضر غير المعاني المطروقة الموارد المعقولة الشوارد المأثورة عنهم

لتقادم الموالد لا لتقدم الصادر على الوارد وإني لأعرف الآن من إذا أنشأ

وشى وإذا عبر حبر وإذا أوجز أعجز وإذا أسهب أذهب ومتى اخترع خرع

وإن بده شده فقال له ناظورة الديوان وعين أولئك الأعيان من قارع

هذه الصفاة وقريع هذه الصفات فقال إنه قرن مجالك وقرين جدالك

وإذا شئت فرض نجيبا وادع مجيبا لترى عجيبا فقال له يا هذا إن البغاث

بأرضنا لا يستنسر والتمييز عندنا بين الفضة والقضة متيسر وقل من

استهدف للنضال فخلص من الداء العضال أو استثار نقع الامتحان فلم يقذ

بالارتهان فلا تعرض عرضك للمفاضح ولا تعرض عن نصاحة الناصح فقال

كل امرئ عارف بوسم قدحه وسيتفرى الليل عن صبحه فتناجت الجماعة

فيما يسبر به قليبه ويعجم فيه تقليبه فقال احدهم ذروه في حصتي لارميه

بحجر قصتي فانها عضلة العقد ومحك المنتقد فقلدوه في هذا الامر الزعامة

تقليد الخوارج ابا نعامة فاقبل على الكهل وقال اعلم اني اوالي هذا الوالي

وارفع حالي بالبيان الحالي وكنت استعين على تقويم اودي في بلدي بسعة

ذات يدي مع قلة عددي فلما اثقل حاذي ونفد رذاذي اممته من ارجائي

برجائي ودعوته لاعادة روائي وارواء ذي فهش للوفادة وراح وغدا بالافادة

وارتاح فلما استاذنته في المراح الى المراح على كاهل المراح قال قد ازمعت

ان لا ازودك بتاتا ولا اجمع لك شتاتا او تنشئ امام ارتحالك رسالة تودعها

شرح حالك حروف احدى كلمتيها يعمها النقط وحروف الاخرى لم يعجمن

قط

وَقَدِ اسْتَانَيْتُ بَيانَهُ حَوْلاً فَمَا احَارَ قَوْلاً وَنَبَّهْتُ فِكْرَهُ سَنَةً فَمَا ازْدَادَ اِلَّا

سِنَةً وَاسْتَعَنْتُ بِقَاطِبَةِ الْكُتَّابِ فَكُلٌّ مِنْهُمْ قَطَّبَ وَتَابَ فَاِنْ كُنْتَ

صَدَعْتَ عَنْ وَصْفِكَ بِالْيَقِينِ فَأْتِ بِآيَةٍ اِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ

فَقَالَ لَهُ لَقَدِ اسْتَسْعَيْتَ يَا هَذَا يَعْبُوبًا وَاسْتَسْقَيْتَ اُسْكُوبًا وَاَعْطَيْتَ

الْقَوْسَ بَارِيهَا وَاَنْزَلْتَ الدَّارَ بَانِيهَا ثُمَّ فَكَّرَ رَيْثَمَا اسْتَجَمَّ قَرِيحَتَهُ وَاسْتَدَرَّ لِقْحَتَهُ

وَقَالَ اَلْقِ دَوَاتَكَ وَخُذْ اَدَاتَكَ وَاكْتُبْ اَلْكَرَمُ ثَبَّتَ اللهُ جَيْشَ سُعُودِكَ

يَزِينُ وَاللُّؤْمُ غَضَّ الدَّهْرُ جَفْنَ حَسُودِكَ يَشِينُ وَالْاَرْوَعُ يُثِيبُ وَالْمُعْوِرُ

يُخَيِّبُ وَالْحُلَاحِلُ يُضِيفُ وَالْمَاحِلُ يُخِيفُ وَالسَّمْحُ يُغَذِّي وَالْمَحِكُ يُقَذِّي وَ

الْعَطَا يُنْجِي وَالْمِطَالُ يُشْجِي وَالدُّعَا يَقِي وَالْمَدْحُ يُنَقِّي وَالْحُرُّ يَجْزِي وَالْاِلْطَاطُ

يُخْزِي وَاطِّرَاحُ ذِي الْحُرْمَةِ غَيٌّ وَمَحْرَمَةُ بَنِي الْآمَالِ بَغْيٌ وَمَا ضَنَّ اِلَّا غَبِينٌ وَلَا

غَبِنَ اِلَّا ضَنِينٌ وَلَا خَزَنَ اِلَّا شَقِيٌّ وَلَا قَبَضَ رَاحَهُ تَقِيٌّ وَمَا فَتِئَ وَعْدُكَ يَفِي

وارزك

وآراؤك تشفي وهلالك يضي وحلمك يغضي وآلاؤك تغني وأعداؤك تثني
وسوددك يبني وحسامك يفني ومواصلك يجتني ومادحك يقتني
وسماؤك تغيث وسماحك يغيث ودرك يفيض وردك يغيض ومؤملك
شيخ حكاه في ولم يبق له شي أمك بظن حرصه يثب ومدحك بنخب
مهورها تجب ومرامه يخف وأواصره تشف وإطراؤه يجتذب وملامه
يجتنب ووراءه ضفف مسهم شظف وحصهم جنف وعمهم قشف
وهو في دمع يجيب ووله يذيب وهم تضيف ومكر نيف لما مول خيب
وأهال شيب وعدو نيب وهدو تغيب ولم يزغ وده فيغضب ولا خبث
عوده فيقضب ولا نفث صدره فينفض ولا نشز وصله فيبغض وما
يقتضي كرمك نبذ حرمه فبيض أمله بتخفيف ألمه يثن حمدك بين عالم بقيت
لإماطة شجب وإعطاء نشب ومداواة شجن ومراعاة يفن موصولا بخفض

وسرورٍ غضٍ ما غشي معهدُ غنيٍ او حشي وهمُ غبيٍ والسلام فلما فرغ من

املاء رسالته وجلى في هيجاء البلاغة عن بسالته ارضته الجماعة

فعلاً وقولاً واوسعته حفاوةً وطولاً ثم سئل من اي الشعوب نجاره

معا

وفي اي الشعاب وجاره فقال غسان اسرتي الصميمة وسروج تربتي القديمة

فالبيت مثل الشمس اشراقاً ومنزلةً جسيمة والربع كالفردوس مطيبةً ومنزهةً

وقيمة واهاً لعيشٍ كان لي فيها ولذاتٍ عميمة ايام اسحب مطرفي في روضها

ماضي العزيمة اختال في برد الشباب واجتلي النعم الوسيمة لا اتقي نوب الزمان

ولا حوادثه الاليمة فلو ان كرباً متلفٌ لتلفت من كربي المقيمة او يفتدى

عيشٌ مضى لفدته مهجتي الكريمة فالموت خيرٌ للفتى من عيشه عيش البهيمة

تقتاده برة الصغار الى العظيمة والهضيمة ويرى السباع تنوشها ايدي

الضباع المستضيمة والذنب للايام لولا شؤمها لم تنب شيمة

ودو

ولم استقام ما كانت الاحوال فيها مستقيمة ثم ان خبره نما الى الوالي

فلما فاله بالآلي وسامه ان ينضوي الى احشائه ويلي ديوان انشائه

فاحسبه الحباء وظلفه عن الولاية الاباء قال الراوي وكنت عرفت

عود شجرته قبل ايناع ثمرته وكدت انبه على قدره قبل استنارة بدره

فاوحى الي بايماض جفنه ان لا اجرد عضبه من جفنه فلما خرج بطين

الخرج وظفر فائزا بالفلج شيعته قاضيا حق الرعاية ولاحيا له على رفض خ وفصل

الولاية فاعرض متبسما وانشد مترنما لجوب البلاد مع المتربة احب الى

معا

من المرتبة لان الولاة لهم نبوة ومعتبة يا لها معتبة وما فيهم من

يرب الصنيع ولا من يشيد ما رتبه فلا يخدعنك لموع السراب

ولا تات امرا اذا ما اشتبه فكم حالم سره حلمه وادركه الروع لما

انتبه

# المقامة السابعة البرقعيدية

حكى الحرث بن همام قال ازمعت الشخوص من برقعيد وقد شمت برق عيد فكرهت الرحلة عن تلك المدينة او اشهد بها يوم الزينة فلما اظل العيد بفرضه ونفله واجلب بخيله ورجله اتبعت السنة في لبس الجديد وبرزت مع من برز للتعييد وحين التام جمع المصلى وانتظم واخذ الزحام بالكظم طلع شيخ في شملتين محجوب المقلتين وقد اعتضد شبه المخلاة واستقاد لعجوز كالسعلاة فوقف وقفة متهافت وحيا تحية خافت فلما فرغ من دعائه اجال خمسه في وعائه فابرز منه رقاعا قد كتبن بالوان الاصباغ في اوان الفراغ فناولهن عجوزه الحيزبون وامرها بان تتوسم الزبون فمن آنست ندى يديه القت ورقة منهن لديه قال فاتاح لي القدر المعتوب رقعة فيها مكتوب

لقد اصبحت موقودا باوجاع واوجال وممنوا بمختال وختال ومغتال

وخوان

وخوان من الاخوان قالي لاقلالي واعمال من العمال في تضييع اعمالي

فكم اصلى بادخال واهوال وترحال وكم اخطر في بال ولا اخطر في بال

فليت الدهر لما جار اطفالي اطفالي فلولا ان اشبالي اغلالي واغلالي

لما جهزت امالي الى آل ولا والي ولا جررت اذيالي على مسحب اذلالي

فمحرابي احرى بي واسمالي اسمالي فهل حر يرى تخفيف اثقالي بمثقال ويطفي حر

بلبالي بسروال وسربال قال الحرث بن همام فلما استعرضت حلة الابيا

ت وتقت الى معرفة ملحمها وراقم علمها فناجاني الفكر بان الوصلة اليه العجوز

وافتاني بان حلوان المعرف يجوز فرصدتها وهي تستقري الصفوف صفا صفا

وتستوكف الاكف كفا كفا وكدها ينجح لها عناء ولا يرشح على يدها اناء فلما

اكدى استعطافها وكدها ما طفها عادت بالاسترجاع ومالت الى ارتجاع الرقا

وانساها الشيطان ذكر رقعتي فلم تعج الى بقعتي وابت الى الشيخ باكية لحرمانها

شاكية تحامل الزمان فقال انا لله وافوض امري الى الله ولا حول ولا قوة الا بالله

لم يبق صاف ولا مصاف ولا معين ولا معين وفي المساوي بدا التساوي فلا امين

ولا ثمين ثم قال مت النفس وعدّيها واجمعي الرقاع وعدّيها فقالت لقد عددتها

لما استعرضتها فوجدت يد الضياع قد غالت احدى الرقاع فقال تعسا لك يا

لكاع اغرم ويحك القنص والحبالة والقبس والذبالة انها لضغث على

إبالة فانصاعت تقتص مدرجها وتنشد مدرجها فلما دانتني قرنت بالرقعة

درهما وقطعة وقلت لها ان رغبت في المشوف المعلم واشرت الى الدرهم فبوحي

بالسر المبهم وان ابيت ان تشرحي فخذي القطعة واسرحي فمالت الى استخلاص البدر

التم والابلج الاهم وقالت دع جدالك وسل عما بدا لك فاستطلعتها طلع الشيخ

وبلدته والشعر وناسج بردته فقالت ان الشيخ من اهل سروج وانه الذي وشى

الشعر المنسوج ثم خطفت الدرهم خطفة الباشق ومرقت مروق السهم الراشق

فخالج قلبي ان ابا زيد هو المشار اليه وتاجج كربي لمصابه بناظريه وآثرت ان

افاجئه واناجيه لاتحقق عود فراستي فيه وما كنت لاصل اليه الا بتخطي رقاب

الجمع المنهي عنه في الشرع وعفت ان يتاذى بي قوم او يسري الي لوم فسدكت

بمكاني وجعلت شخصه قيد عياني الى ان انقضت الخطبة وحقت الوثبة

فخففت اليه وتوسمته على انتحام جفنيه فاذا المعيتي المعية ابن عباس وفراستي

فراسة اياس فعرفته حينئذ شخصي واثرته باحد قمصي واهبت به الى قرصي

فهش لمعارفتي وعرفاني ولبى دعوة رغفاني وانطلق ويدي زمامه وظلي امامه

والعجوز ثالثة الاثافي والرقيب الذي لا يخفى عليه خافي فلما استحلس وكني

واحضرته عجالة مكنتي قال يا حارث امعنا ثالث قلت ليس الا العجوز فقال

ما دونها ستر محجوز ثم فتح كريمتيه ورأرأ بتوامتيه فاذا سراجا وجهه يتقدان

كانهما الفرقدان فابتهجت بسلامة بصره وعجبت من غرائب سيره في سفره ولم

يلقني قرار ولا طاوعني اصطبار حتى سالته ما دعاك الى التعامي مع سيرك في المعامي

وجوبك الموامي وايغالك في المرامي فتظاهر باللكنة وتشاغل بالاهنة حتى اذا

قضى وطره اثار الي نظره وانشد ولما تعامى الدهر وهو ابو الورى عن الرشد

في انحائه ومقاصده تعاميت حتى قيل اني اخو عمى ولا غرو ان يحذو الفتى حذو والده

ثم قال انهض الى المخدع فأتني بغسول يروق الطرف وينقي الكف وينعم البشرة ويعطر

النكهة ويشد اللثة ويقوي المعدة وليكن نظيف الظرف اريج العرف فتي الدق

ناعم السحق يحسبه اللامس ذرورا ويخاله الناشق كافورا واقرن به خلالة نقية

الاصل محبوبة الوصل انيقة الشكل مدعاة الى الاكل لها نحافة الصب وصقال

العضب وآلة الحرب ولدونة الغصن الرطب قال فنهضت فيما امر لا لدرء عنه

الغمر ولا اهم انه قصد ان يخدع بادخالي المخدع ولا تظنيت انه سخر من الرسول

في استدعا الخلالة والغسول فلما عدت بالملتمس في اقرب من رجع النفس وجدت

الجو قد خلا والشيخ والشيخة قد اجفلا فاستشطت من مكره غضبا واوغلت

في اثره طلبا فكان كمن قمس في الماء او عرج به الى عنان السماء

# المقامة الثامنة المعرية

اخبر الحرث بن همام قال رايت من اعاجيب الزمان ان تقدم خصمان
الى قاضي معرة النعمان احدهما قد ذهب منه الاطيبان والاخر كانه قضيب
البان فقال الشيخ ايد الله القاضي كما ايد به المتقاضي انه كانت لي مملوكة
رشيقة القد اسيلة الخد صبورة على الكد تخب احيانا كالنهد وترقد
اطوارا في المهد وتجد في تموز مس البرد ذات عقل وعنان وحد وسنان وكف
ببنان وفم بلا اسنان تلدغ بلسان نضناض وترفل في ذيل فضفاض وتجلى في
سواد وبياض وتسقى ولكن من غير حياض ناصحة خدعة خباة طلعة
مطبوعة على المنفعة ومطواعة في الضيق والسعة اذا قطعت وصلت
ومتى فصلتها عنك انفصلت وطالما اخذ منك فجملت وربما جنت عليك
فالمت وملت وان هذا الفتى استخدمنيها لغرض فاخدمته اياها بلا عوض

عَلَى أَنْ يَجْتَنِيَ نَفْعَهَا وَلَا يُكَلِّفَهَا إِلَّا وُسْعَهَا فَأَوْلَجَ فِيهَا مَتَاعَهُ وَأَطَالَ بِهَا

اِسْتِمْتَاعَهُ ثُمَّ أَعَادَهَا وَقَدْ أَفْضَاهَا وَبَذَلَ عَنْهَا قِيمَةً لَا أَرْضَاهَا فَقَالَ

الْحَدَثُ أَمَّا الشَّيْخُ فَأَصْدَقُ مِنَ الْقَطَا وَأَمَّا الْإِفْضَاءُ فَفَرَطَ عَنْ خَطَأٍ وَقَدْ

رَهَنْتُهُ عَلَى أَرْشِ مَا اسْتَوْهَنْتُهُ مَمْلُوكًا لِي مُتَنَاسِبَ الطَّرَفَيْنِ مُنْتَسِبًا إِلَى الْقَيْنِ

نَقِيًّا مِنَ الدَّرَنِ وَالشَّيْنِ يُقَارِنُ مَحَلُّهُ سَوَادَ الْعَيْنِ يُفْشِي الْإِحْسَانَ وَيُنْشِي

الْاِسْتِحْسَانَ وَيُغَذِّي الْإِنْسَانَ وَيَتَحَامَى اللِّسَانَ إِنْ سُوِّدَ جَادَ أَوْ وَسَمَ أَجَادَ

وَإِذَا زُوِّدَ وَهَبَ الزَّادَ وَمَتَى اسْتُزِيدَ زَادَ لَا يَسْتَقِرُّ بِمَغْنًى وَقَلَّمَا يَنْكِحُ إِلَّا مَثْنَى

يَسْخُو بِمَوْجُودِهِ وَيَسْمُو عِنْدَ جُودِهِ وَيَنْقَادُ مَعَ قَرِينَتِهِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ

طِينَتِهِ وَيَسْتَمْتِعُ بِزِينَتِهِ وَإِنْ لَمْ يَطْمَعْ فِي لِينَتِهِ فَقَالَ لَهُمَا الْقَاضِي إِمَّا أَنْ

تُبَيِّنَا وَإِلَّا فَبِينَا فَأَحْجَمَ الشَّيْخُ وَاسْتَقَالَ وَابْتَدَرَ الْغُلَامُ وَقَالَ

أَعَارَنِي إِبْرَةً لِأَرْفُوَ أَطْمَارًا أَعْفَاهَا الْبِلَى وَسَوَّدَهَا فَانْخَرَمَتْ فِي يَدِي عَلَى خَطَإٍ مِنِّي

لما جذبت مقودها فلم ير الشيخ ان يسامحني بارشها اذ راى تاودها بل قال

هات ابرة تماثلها او قيمة بعد ان تجودها واعتاق ميلي رهنا لديه

وناهيك بها سبة تزودها فالعين مرهى لرهنه ويدي تقصر عن ان تفك

مرودها فاستبر بذا الشرح غور مسكنتي وارث لمن لم يكن تعودها فاقبل

القاضي على الشيخ وقال ايه بغير تمويه فقال اقسمت بالمشعر الحرام ومن

ضم من الناسكين خيف منا لو ساعفتني الايام لم ترني مرتهنا ميله الذي رهنا

ولا تصديت ابتغي بدلا من ابرة غالها ولا ثمنا لكن قوس الخطوب ترشقني

بمصميات من هاهنا وهنا وخبر حالي كخبر حالته بوسا وضرا وغربة وضنا

قد عدل الدهر بيننا فانا نظيره في الشقاء وهو انا لا هو يستطيع فك مروده

لما غدا في يدي مرتهنا ولا مجالي لضيق ذات يدي فيه اتساع للعفو حين جنا

فهذه قصتي وقصته فانظر الينا وبيننا ولنا فلما وعى القاضي قصصهما

وبين خصامهما أبرز لهما ديناراً من تحت مصلاه وقال اقطعا به
الخصام وافصلاه فتلقفه الشيخ دون الحدث واستخلصه على وجه
الجد لا العبث وقال للحدث نصفه لي بسهم مبرتي وسهمك لي عن إرث إبرتي
ولست عن الحق أميل فقم وخذ الميل فعرا الحدث لما حدث اكتئاب وجم له
قلب القاضي وهيج أسفه على الدينار الماضي إلا أنه جبر بال الفتى وبلباله
بدريهمات رضخ بها له وقال لهما اجتنبا المعاملات وادرآ المخاصمات ولا
تحضراني في المحاكمات فما عندي كيس الغرامات فنهضا من عنده فرحين
برفده مفصحين بحمده والقاضي ما يخبو ضجره مذ بض حجره ولا ينصل كمده مذ
رشح جلمده حتى إذا أفاق من غشيته أقبل على غاشيته وقال قد أشرب
حسي ونبأني حدسي أنهما صاحبا دهاء لا خصما ادعاء فكيف السبيل إلى سبرهما
واستنباط سرهما فقال له نحرير زمرته وشرارة جمرته إنه لن يتم استخراج خبئهما

إلا بهما فنقدناهما عوناً يرجعهما إليه فلما مثلا بين يديه قال لهما أتعرفان سرّ
بكرتكما ولمّا الأمان من تبعة مكركما فأحجم الحدث واستقال وأقدم الشيخ وقال
أنا السروجي وهذا ولدي والشبل في المخبر مثل الأسد وما تعدّت يده ولا يدي في إمرة
يوماً ولا في مرود وإنما الدهر المسيء المعتدي مال بنا حتى غدونا نجتدي كل ندي الراحة
عذب المورد وكل جعد الكف مغلول اليد بكل فنّ وبكل مقصد بالجد إن أجدى
وإلا بالدّدِ لنجتلي الرشح إلى الحظ الصدي ونتقي العمر بعيش أنكد والموت من بعد
لنا بالمرصد إن لم يفاجي اليوم فاجي في غد فقال له القاضي لله درّك فما أعذب
نفثات فيك وواهاً لك لولا خداع فيك وإني لك لمن المنذرين وعليك من
الحذرين فلا تماكر بعدها الحاكمين واتق سطوة المتحكمين فما كل مسيطر يقيل ولا كل
أوان يسمع القيل فعاهده الشيخ على اتباع مشورته والارتداع عن تلبيس صورته
وفصل عن جهته والحدث يلمع من جبهته قال الحارث بن همام فلم أر أعجب منها

في تصاريف الأسفار، ولا قرأت مثلها في تصانيف الأسفار

# المقامة التاسعة الإسكندرية

قال الحرث بن همام قال طحا بي مرح الشباب وهوى الاكتساب الى ان جبت ما
بين فرغانة وغانة اخوض الغمار لاجني الثمار واقتحم الاخطار لكي ادرك الاوطار
وكنت لقفت من افواه العلماء وثقفت من وصايا الحكماء انه يلزم الاديب الاريب
اذا دخل البلد الغريب ان يستميل قاضيه ويستخلص مراضيه ليشتد ظهره
عند الخصام ويامن في الغربة جور الحكام فاتخذت هذا الادب اماما
وجعلته لمصالحي زماما فما دخلت مدينة ولا ولجت عرينة الا وامتزجت
بحاكمها امتزاج الماء بالراح وتقويت بعنايته تقوي الاجساد بالارواح فبينما تقوّي
انا عند حاكم الاسكندرية في عشية عرية وقد احضر مال الصدقات ليفضه
على ذوي الفاقات اذ دخل شيخ عفرية تعتله امراة مصبية فقالت ايد الله

القاضي وأدام به التراضي إني امرأة من أكرم جرثومة وأطهر أرومة وأشرف

خؤولة وعمومة ميسمي الصون وشيمتي الهون وخلقي نعم العون وبيني وبين

جاراتي بون وكان أبي إذا خطبني بناة المجد وأرباب الجد سكتهم وبكتهم وعاف

وصلتهم وصلتهم واحتج بأنه عاهد الله تعالى بحلفة أن لا يصاهر غير ذي حرفة

فقيض القدر لنصبي ووصبي أن حضر هذا الخدعة نادي أبي فأقسم بين رهطه

أنه وفق شرطه وادعى أنه طالما نظم درة إلى درة فباعهما ببدرة فاغتر أبي

بزخرفة محاله وزوجنيه قبل اختبار حاله فلما استخرجني من كناسي ورحلني

عن أناسي ونقلني إلى كسره وحصلني تحت أسره وجدته قعدة جثمة وألفيته

ضجعة نومة وكنت صحبته برياش وزي وأثاث وري فما برح يبيعه في

سوق الهضم ويتلف ثمنه في الخضم والقضم إلى أن مزق مالي بأسره وأنفق

مالي في عسره فلما أنساني طعم الراحة وغادر بيتي أنقى من الراحة قلت له يا

هذا انه لا مخبا بعد بوس ولا عطر بعد عروس فانهض للاكتساب بصناعتك

واجتني ثمرة براعتك فزعم ان صناعته قد رميت بالكساد لما ظهر في

الارض من الفساد ولديه سلالة كانه خلالة وكلانا ما ينال معه

شبعة ولا ترقا له من الطوى دمعة وقد قدته اليك واحضرته لديك لتعجم

عود دعواه وتحكم بيننا بما اراك الله فاقبل القاضي عليه وقال له قد

وعيت قصص عرسك فبرهن عن نفسك والا كشفت عن لبسك

وامرت بحبسك فاطرق اطراق الافعوان ثم شمر للحرب العوان وقال

اسمع حديثي فانه عجب يضحك من شرحه وينتحب انا امرؤ ليس في خصا

ئصه عيب ولا في فخاره ريب سروج داري التي ولدت بها والاصل غسان حين انتسب

وشغلي الدرس والتبحر في العلم طلابي وحبذا الطلب وراس مالي سحر الكلام الذي

منه يصاغ القريض والخطب اغوص في لجة البيان فاختار اللآلي منها وانتخب

واجتني

واجتني اليانع الجني من القول وغيري للعود محتطب واخذ اللفظ فضة

فاذا ما صغته قيل انه ذهب وكنت من قبل امتري نشبا بالادب المقتنى واحتلب

ويمتطي اخمصي لحرمته مراتبا ليس فوقها رتب وطالما زفت الصلات الى ربعي

فلم ارض كل من يهب فاليوم من يعلق الرجاء به اكسد شيء في سوقه الادب ب

لا عرض ابنائه يصان ولا يرقب فيهم إلّ ولا نسب كانهم في عراصهم جيف تبعد

من نتنها وتجتنب فحار لبي لما منيت به من الليالي وصرفها عجب

وضاق ذرعي لضيق ذات يدي وساورتني الهموم والكرب وقادني دهري الملئيم

الى سلوك ما يستشينه الحسب فبعت حتى لم يبق لي سبد ولا بتات اليه انقلب

وادّنت حتى اثقلت سالفتي بحار دين من دونه العطب ثم طويت الحشا على سغب

خمسا فلما امضني السغب لم ار الا جهازها عرضا اركض في بيعه واضطرب

فجلت فيه والنفس كارهة والعين عبرى والقلب مكتئب وما تجاوزت اذ

عبثت بِهِ حرّ التراضي فيحدث الغضب فإن يكن غاضها توهمها أن

بنانِيَ بالنظم تكتسب أو أنني إذ عزمت خطبتها زخرفت قولي لينجح الأرب

فوالذي سارت الرفاق إلى كعبته تستحثها النجب ما الكبر بالمحصنات من خلقي

ولا شعاري التمويه والكذب ولا يدي مذ نشأت نيط بها إلا المواضي اليراع والكتب

بل فكري تنظم القلائد لا كفي وشعري المنظوم لا السخب وهذه الحرفة المشار إليها

ما كنت أحوك فيها ولا أحتطب فأذن لشرحي كما أذنت لها ولا تراقب واحكم بما يجب

قال فلما أحكم ما شاده وأكمل إنشاده عطف القاضي إلى الفتاة بعد أن شعف بالأبيا

وقال أما إنه قد ثبت عند جميع الحكام وولاة الأحكام انقراض جيل الكرام و

ميل الأيام إلى اللئام وإني لأخال بعلك صدوقا في الكلام بريا من الملام وها هو قد

اعترف لك بالقرض وصرح عن المحض وبين أنه معروق

العظم وإعنات المعسر ملامة وحبس المعسر مأثمة وكتمان الفقر زهادة وانتظار

الفرج

الفرج بالصبر عبادة فارجعي الى خدرك واعذري اباعذرك ونحيهِ من غربك و
سلمي لقضاء ربك ثم انه فرض لهما في الصدقات حصة وناولهما من دراهمها قبضة
وقال لهما تعللا بهذه العلالة وتنديا بهذه البلالة واصبرا على كيد الزمان وكده فعسى
الله ان ياتي بالفتح او امر من عنده فنهضا وللشيخ فرحة المطلق من الاسار وهزة
الموسر بعد الاعسار قال الراوي وكنت عرفت انه ابو زيد ساعة بزغت شمسه
ونزغت عرسه وكدت افصح عن افتنانه واثمار افنانه ثم اشفقت من عثور القاضي
على بهتانه وتزويق لسانه فلا يرى عند عرفانه ان يرشحه لاحسانه فاحجمت
عن القول احجام المرتاب وطويت ذكره كطي السجل للكتاب الى ان قلت بعد ما
فصل ووصل الى ما وصل لو ان لنا من ينطلق في اثره لاتانا بفص خبره وما ينشر
من حبره فاتبعه القاضي احد امنائه وامره بالتجسس على انبائه فما لبث ان
رجع متدهدها وقهقه مقهقها فقال له القاضي مهيم يا ابا مريم فقال لقد عاينت عجبا

وسمعت ما انشا لي طربا فقال له ماذا رايت وما الذي وعيت قال لم يزل الشيخ
منذ خرج يصفق بيديه ويخالف بين رجليه ويغرد بملء شدقيه ويقول
كدت اصلى بلية من وقاح شمرية وازور السجن لولا حاكم الاسكندرية
فضحك القاضي حتى هوت دنيته وذوت سكينته فلما فاء الى الوقار وعقب
الاستغراب بالاستغفار قال اللهم بحرمة عبادك المقربين حرم حبسي على المتادبين
ثم قال لذلك الامين علي به فانطلق مجدا في طلبه ثم عاد بعد لايه مخبرا بنائيه
فقال القاضي اما انه لو حضر لكفي الحذر ثم لاوليته ما هو به اولى ولاريته
ان الاخرة خير له من الاولى قال الحرث بن همام فلما رايت صغو القاضي اليه
وفوت ثمرة التنبيه عليه غشيتني ندامة الفرزدق حين ابان النوار والكسعي

## المقامة العاشرة الرحبية

لما استبان النهار

حكى الحرث بن همام قال هتف بي داعي الشوق الى الرحبة مالك بن طوق فلبيته

منتصبا

ممتطيًا شملةً ومنتضيًا عزمةً مشمعلّةً فلمّا ألقيت بها المراسي وشددت أمراسي

وبرزت من الحمّام بعد سبت راسي رأيت غلامًا أفرغ في قالب الجمال وألبس من

الحسن حلّة الكمال وقد اعتلق شيخ بردنه يدّعي أنّه فتك بابنه والغلام ينكر

عرفته ويكبر قرفته والخصام بينهما متطاير الشرار والزحام عليهما يجمع بين الأخيار

والأشرار إلى أن تراضيا بعد اشتطاط اللدد بالتنافر إلى والي البلد وكان ممّن يزن

بالهنات ويغلّب حبّ البنين على البنات فأسرعا إلى ندوته كالسليك في عدوه تِه

فلمّا حضراه جدّد الشيخ دعواه واستدعى عدواه فاستنطق الغلام وقد فتنه بمحاسن

غرّته وطرّ عقله بتصفيف طرّته فقال إنّها أفيكة أفّاك على غير سفّاك وعضيهة

عضّاهة على من ليس بعضّاه فقال الوالي للشيخ إن شهد لك عدلان من المسلمين وإلّا فاستوف فِ

منه اليمين فقال الشيخ إنّه جدّله خاليًا وأفاح دمه خاليًا فأنّى لي شاهد ولم يكن

ثمّ مشاهد ولكن ولّني تلقينه اليمين ليبين لك أيصدق أم يمين فقال له أنت

المالك لزلك مع وجدك المتهالك على ابنك الهالك فقال الشيخ للغلام قل والذى

زين الجباه بالطرر والعيون بالحور والحواجب بالبلج والمباسم بالفلج والجفون

بالسقم والانوف بالشمم والخدود باللهب والثغور بالشنب والبنان بالترف و

الخصور بالهيف اننى ما قتلت ابنك سهوا ولا عمدا ولا جعلت هامته لسيفى غمدا

والا فرمى الله جفنى بالعمش وخدى بالنمش وطرتى بالجلح وطلعى بالبلح ووردى

بالبهار ومسكى بالبخار وبدرى بالمحاق وفضتى بالاحتراق وشعاعى بالظلام ودوا

بالاقلام فقال الغلام الاصطلاء بالبلية ولا الايلاء بهذه الالية والانقياد للقود

ولا الحلف بما لم يحلف به احد فابى الشيخ الا تجريعه اليمين التى اخترعها وامقر له

جرعها ولم يزل التلاحى بينهما يستعر ومحجة التراضى تعر والغلام فى ضمن تابيه

يخلب قلب الوالى بتلويه ويطمعه فى ان يلبيه الى ان ران هواه على قلبه والب

بلبه وسول له الوجد الذى تيمه والطمع الذى توهمه ان يخلص الغلام ويستخلصه

وان ينقذه من حبالة الشيخ ثم يقتنصه فقال للشيخ هل لك فيما هو اليق بالاقوى
واقرب للتقوى فقال الام تشير لاقتفيه ولا اقف فيه قال ارى ان تقصر عن القيل والقال
وتقتصر على مائة مثقال لاتحمل منها بعضا واجتني لك الباقي عرضا فقال الشيخ ما مني
خلاف فلا يكن لوعدك اخلاف فنقده الوالي عشرين ووزع على وزعته تكملة
خمسين ورق ثوب الاصيل وانقطع لاجله صوب التحصيل فقال له خذ ما راج
ودع اللجاج وعلي في غد ان اتوصل الى ان ينض لك الباقي ويتحصل فقال الشيخ افعل
ذلك على ان الازمه ليلتي ويرعاه انسان مقلتي حتى اذا اعفى بعد اسفار الصبح
بما بقي من مال الصلح تخلصت قابيته من قوب وبرئ براءة الذئب من دم ابن
يعقوب فقال له الوالي ما اراك سمت شططا ولا رمت فرطا قال الحرث بن همام
فلما رايت حجج الشيخ كالحجج السريجية علمت انه علم السروجية فلبثت الى ان
زهرت نجوم الظلام وانتثرت عقود الزحام ثم قصدت فناء الوالي فاذا الشيخ

للفتى كالحلي فنشدته الله أهو أبو زيد فقال إي وحق الصيد فقلت من هذا الغلام
الذي هفت له الاحلام فقال هو في النسب فرخي وفي المكسب فخي قلت فهلا
اكتفيت بمحاسن فطرته وكفيت الوالي الافتتان بطرته فقال لو لم تبرز جبهته
السينية لما قنصت الخمسين ثم قال بت الليلة عندي لنطفئ نار الجوى ونذيل
الهوى من النوى فقد اجمعت على ان انسل بسحرة واصلي قلب الوالي نار حسرة
قال فقضيت الليلة معه في سمر انق من حديقة زهر وخميلة شجر حتى اذا
لألأ الافق ذنب السرحان وآن انبلاج الفجر وحان ركب متن الطريق واذاق
الوالي عذاب الحريق وسلم الي ساعة الفراق رقعة محكمة الالصاق وقال
ادفعها الى الوالي اذا سلب القرار وتحقق منا الفرار ففضضتها فعل المتلمس
من مثل صحيفة المتلمس فاذا فيها مكتوب     قل لوال غادرته بعد بين
سادما نادما يعض اليدين     سلب الشيخ ماله وفتاه لبه فاصطلى لظى حسرتين

جاد بالعين حين أعمى هواه عينه فانثنى بلا عينين خفض الحزن يا معنّى فما يجدي
طلاب الآثار من بعد عين ولئن جلّ ما عراك كما جلّ لدى المسلمين رزء الحسين
فقد اعتضت منه فهما وحزما واللبيب الأريب يبغي زينين فاعص من بعدها المطامع
ان صيد الظبا ليس بهين لا ولا كل طاير يلج الفخ ولو كان محدقا بالحجين
وكم من سعى ليصطاد فاصطيد ولم يلق غير خفي حنين فتبصر ولا تشم كل برق
رب برق فيه صواعق حين واغضض الطرف تسترح من غرام تكتسي فيه ثوب ذل وشين
فبلاء الفتى اتباع هوى النفس وبذر الهوى طموح العين قال الراوي فمزقت رقعته
شذر مذر ولم ابال أعذل أم عذر

## المقامة الحادية عشر الساوية

حدث الحرث بن همام قال آنست من قلبي القساوة حين حللت ساوة
فاخذت بالخبر المأثور في مداواتها بزيارة القبور فلما صرت الى محلة الأموات
وكفات الرفات رأيت جمعا على قبر يحفر ومجنوز يقبر فانحزت اليهم مفكرا في

المآل ومتذكرا من درج من الآل فلما الحد الميت وفات قول ليت اشرف شيخ

من رباوة متخصر بهراوة وقد لفع وجهه بردائه ونكر شخصه لدهائه و

قال لمثل هذا فليعمل العاملون فاذكروا ايها الغافلون وشمروا ايها المقصرون و

احسنوا النظر ايها المتبصرون ما لكم لا يحزنكم دفن الاتراب ولا يهولكم هيل التراب

ولا تعباون بنوازل الاحداث ولا تستعدون لنزول الاجداث ولا تستعبرون

لعين تدمع ولا تعتبرون بنعي يسمع ولا ترتاعون لالف يفقد ولا تلتاعون

لمناحة تعقد يشيع احدكم نعش الميت وقلبه تلقا البيت ويشهد موارة

نسيبه وفكره في استخلاص نصيبه ويخلي بين ودوده ودوده ثم يخلو بمزماره

وعوده طالما اسيتم على انثلام الحبة وتناسيتم اخترام الاحبة واستكنتم

لاعتراض العسرة واستهنتم بانقراض الاسرة وضحكتم عند الدفن ولا ضحككم سا

الزفن وتبخترتم خلف الجنائز ولا تبختركم يوم قبض الجوائز واعرضتم عن

تعرير

تعريج النوادب الى اعداد المآدب وعن تحرف التواكل الى التأنق في المآكل لا تبالو

بمن هو بال ولا تخطرون ذكر الموت ببال حتى كأنكم قد علقتم من الحمام بزمام

او حصلتم من الزمان على امان او وثقتم بسلامة الذات او تحققتم مسالمة

هادم اللذات كلا ساء ما تتوهمون ثم كلا سوف تعلمون ثم انشد

ايا من يدعي الفهم الى كم يا اخا الوهم تعبي الذنب والذم وتخطي الخطأ الجم

اما بان لك العيب اما انذرك الشيب وما في نصحه ريب ولا سمعك قد صم

اما نادى بك الموت اما اسمعك الصوت اما تخشى من الفوت فتحتاط وتهتم

فكم تسدر في السهو وتختال من الزهو وتنصب الى اللهو كأن الموت ما عم

وحتام تجافيك وابطاء تلافيك طباعا جمعت فيك عيوبا شملها انضم

اذا اسخطت مولاك فما تقلق من ذاك وان اخفق مسعاك تلظيت من الهم

وان لاح لك النقش من الاصفر تهتش وان مر بك النعش تغاممت ولا غم

تعاصي الناصح البر وتعتاص وتزور وتنقاد لمن غر ومن مان ومن نم

وتسعى في هوى النفس وتحتال على الفلس وتنسى ظلمة الرمس ولا تذكر ما ثم

ولو لاحظك الحظ لما طاح بك اللحظ ولا كنت إذا الوعظ جلا الأحزان تغتم

ستذري الدم لا الدمع إذا عاينت لا جمع يقي في عرصة الجمع ولا خال ولا عم

كأني بك تنحط إلى اللحد وتنغط وقد أسلمك الرهط إلى أضيق من سم

هناك الجسم ممدود ليستأكله الدود إلى أن ينخر العود ويمسي العظم قد رم

ومن بعد فلا بد من العرض إذا اعتد صراط جسره مد على النار لمن أم

فكم من مرشد ضل ومن ذي عزة ذل وكم من عالم زل وقال الخطب قد طم

فبادر أيها الغمر لما يحلو به المر فقد كاد يهي العمر وما أقلعت عن ذم

ولا تركن إلى الدهر وإن لان وإن سر فتلفى كمن اغتر بأفعى تنفث السم

وخفض من تراقيك فإن الموت لاقيك وسار في تراقيك وما ينكل إن هم

وجانب

وجانب صعر الخد، إذا ساعدك الجد، وزم اللفظ إن ند، فما أسعد من ذم

ونفس عن أخي البث، وصدقه إذا نث، ورم العمل الرث، فقد أفلح من رم

وريش من ريشه انحص، بما عم وما خص، ولا تأس على النقص، ولا تحرص على اللم

وعاد الخلق الرذل، وعود كفك البذل، ولا تستمع العذل، ونزهها عن الضم

وزود نفسك الخير، ودع ما يعقب الضير، وهيئ مركب السير، وخف من لجة اليم

بذا أوصيت يا صاح، وقد بحت كمن باح، فطوبى لفتى راح، بآدابي يأتم

ثم حسر ردنه عن ساعد شديد الأسر، قد شد عليه جبائر المكر لا الكسر، متعرضا للاستماحة في معرض الوقاحة، فاحتلب به أولئك الملاء حتى أترع كمه وملا ثم انحدر من الربوة جذلا بالحبوة، قال الراوي فجاذبته من ورائه حاشية ردائه فالتفت إلي مستسلما وواجهني مسلما فإذا هو شيخنا أبو زيد بعينه ومينه وزينه وشينه فقلت له

أإلى كم يا أبا زيد أفانينك في الكيد لتحاشر الصيد ولا تعبأ بمن ذم فأجاب من غير استحياء ولا ارتياء وقال

تبصّر ودع اللوم وقل لي هل ترى اليوم فتىً لا يقمر القوم متى ما دسته تمّ فقلت له

بعداً لك يا شيخ النار وزاملة العار فما مثلك في طلاوة علانيتك وخبثة

نيتك الا مثل روث مفضّض او كنيف مبيّض ثم تفرقنا فانطلقت ذات

اليمين وانطلق ذات الشمال وناوحت مهبّ الجنوب وناوح مهبّ الشمال

## المقامة الثانية عشر الدمشقية

حكى الحرث بن همام قال شخصت عن العراق الى الغوطة وانا ذو جرد

مربوطة وجدة مغبوطة يلهيني خلو الذرع ويزدهيني حفول الضرع

فلما بلغتها بعد شق النفس وانضاء العنس الفيتها كما تصفها الالسن وفيها

ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين فشكرت يد النوى وجريت طلق الهوى

وطفقت افضّ ختام الشهوات واجتني قطوف اللذات الى ان شرع سفر

في الاعراق وقد استفقت من الاغراق فعاد لي عيد من تذكار الوطن والحنين

إلى العطن فقوّضتُ خيام الغيبة وأسرجتُ جواد الأوبة ولمّا تأهّبت
الرفاق واستتبّ الاتفاق لعنّا من المسير دون استصحاب الخفير فردناه
من كلّ قبيلة وأعملنا في تحصيله الحيلة فأعوز وجدانه في الأحياء
حتّى خلنا أنّه ليس من الأحياء فحارت لعوزه عزوم السيّارة وانتدوا بباب
جيرون للاستشارة فما زالوا بين عقدٍ وحلٍّ وشزرٍ وسحلٍ إلى أن نفد التناجي
وقنط الراجي وكان حذاءهم شخصٌ ميسمه ميسم الشباب ولبوسه لبوس
الرهبان وبيده سبحة النسوان وفي عينيه ترجمة النشوان وقد قيّد لحظه
بالجمع وأرهف أذنه لاسترقاق السمع فلمّا أن انكفأوا وقد برح له خفاؤهم
قال لهم يا قوم ليفرخ كربكم وليأمن سربكم فسأخفركم بما يسرو روعكم ويبدو
طوعكم قال الراوي فاستطلعنا منه طلع الخفارة واستنبأناه الجعالة عن
السفارة فزعم أنّها كلماتٌ لقّنها في المنام ليحترس بها من كيد الأنام فجعل

بعضنا يومض الى بعض ويقلب طرفه بين لحظ وغمز وتبين له انا استضعفنا

الخبر واستشعرنا الخور فقال ما لكم اتخذتم جدي عبثا وجعلتم تبري خبثا ولطالما

والله جبت مخاوف الاقطار وولجت مقاحم الاخطار فغنيت بها عن مصاحبة

خفير واستصحاب جفير ثم اني سانوي ما رابكم واستسل الحذر الذي نابكم بان اوافقكم

في البداوة واوافقكم في السماوة فان صدقكم وعدي فاجدوا سعدي واسعدوا جدي

وان كذبكم فمزقوا ادمي وارقوا دمي قال الحرث بن همام فالهمنا تصديق رؤياه و

تحقيق ما رواه فرغنا عن مجادلته واستهمنا على معادلته ونقضنا بقوله عرى

التربث والغينا اتقاء العابث والعائث ولما اعملت الرحال وازف الترحال

استنزلنا كلماته الراقية لنجعلها الواقية الباقية فقال ليقرأ كل منكم ام

القران كلما اظل الملوان ثم ليقل بلسان خاضع وصوت خاشع اللهم يا محيي الرفات

ويا دافع الافات ويا واقي المخافات ويا كريم المكافاة ويا موئل العفاة ويا ولي العفو والمعافاة

في

صل على محمد خاتم انبيائك ومبلغ انبائك وعلى مصابيح اسرته ومفاتيح نصرته واعذ

من نزغات الشياطين ونزوات السلاطين واعنات الباغين ومعاناة الطاغين

ومعادات العادين وعدوان المعادين وغلب الغالبين وسلب السالبين وحيل المحتالين

وغيل المغتالين واجرني اللهم من جور الجاورين ومجاورة الجائرين وكف عني اكف

الضايمين واخرجني من ظلمات الظالمين وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين

اللهم احفظني في تربتي وغربتي واوبتي وغيبتي ورجعتي ونجعتي وتصرفي ومنصرفي وتقلبي

ومنقلبي واحفظني في نفسي ونفايسي وعرضي وعرضي وعددي وعددي وسكني ومسكني

وحولي وحالي وقالي ومالي ولا تلحقني تغييرا ولا تسلط علي مغيرا واجعل لي من لدنك

سلطانا نصيرا اللهم احرسني بعينك وعونك واخصصني بامنك ومنك وتولني

باختيارك وخيرك ولا تكلني الى كلاءة غيرك وهب لي عافية غير عافية وارزقني

رفاهية غير واهية واكفني مخاشي اللاواء واكنفني بغواشي الالاء ولا تظفر بي اظفار الاعداء